رحمة اللّه تعالى بعباده
أسبابها وآثارها
في ضوء القرآن الكريم

إعداد:
أ. د. عبدالفتاح محمد خضر
أستاذ ورئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر
عضو الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه
(تبيان)

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه.... أما بعد

فقد يسر الله سبحانه وتعالى لي كتابة هذا البحث الذي عنوانه: "رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أسبابها وآثارها في ضوء القرآن الكريم" أسأل الله أن ينفع به كل من طالعه، وهو تابع للمحور الأول: (تأصيل خلق الرحمة في الإسلام).

أهداف هذا البحث:

أبرز أهداف هذا البحث تظهر فيما يلي:

أولًا: بيان ماهية رحمة الله المتصلة بالعباد والتفريق بين ما يصح أن يقال في حق الله سبحانه وتعالى وما يصح أن يقال في حق البشر.

ثانيًا: بيان ما حفل به القرآن الكريم من أسباب رحمة الله لعباده، باستقراء هذه الأسباب من آي القرآن الكريم لفظًا وفي بعض الأحيان من خلال المعنى، مع إظهار ما تحمله هذه الآيات من هدايات وإرشادات لنا جميعًا للترغيب في طرّق هذه الأسباب والأخذ بها.

ثالثًا: تجلية آثار رحمة الله بنا، وذلك من خلال القرآن الكريم، مع مزيد بيان لهدايات جادت بها قرائح العلماء، خاصة علماء التفسير في ظلال

النص الشريف، وهذا يرسخ الحالة الإيمانية لدى كل مؤمن ويقويها، ويشعره بفضل ربه عليه ليظل عبدًا طائعًا للرحمن الرحيم ﷻ.

منهج البحث:

منهج هذا البحث هو منهج التفسير الموضوعي، إذ يجنح إلى موضوع قرآني خالص هو: «رحمة الله ﷻ بعباده أسبابها وثمراتها في ضوء القرآن الكريم»، وذلك يقوم على أساس جمع الآيات التي تتحدث عن «رحمة الله بعباده» و تقسيمها إلى قسمين: الأول يخص الأسباب، والثاني: يخص الآثار، مع مراعاة إبراز هدايات القرآن وفيوضاته للعمل والتأسي والاعتبار.

حدود البحث:

الآيات التي استعملها القرآن الكريم فيما يخص رحمة الله المتصلة بعباده السبب والآثار وفق منهجية التفسير الموضوعي وفي إطاره، مراعيًا الإيجاز والإنجاز في آن، مبتعدًا عن الإطناب، إذ مقام ما يُكتب للمؤتمرات يقتضي ذلك.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث بعد المقدمة إلى مطالب ثلاثة وخاتمة:

المطلب الأول: تعريف الرحمة في اللغة والاصطلاح والمناسبة بينهما.

المطلب الثاني: أسباب رحمة الله لعباده ﷻ.

المطلب الثالث: آثار رحمة الله بعباده ومظاهرها.

والخاتمة تضمنت أبرز نقاط البحث، ثم التوصيات والمحتوى.

والله ولي التوفيق.

المطلب الأول
تعريف الرحمة في اللغة والاصطلاح والمناسبة بينهما

الرحمة في اللغة:

بإمعان النظر في معاجم العربية وجدت أن مادة الرحمة «الراء والحاء والميم تدل على الرقة والعطف والرأفة. يقال من ذلك: رحمه يرحمه إذا رقَّ له وتعطَّف عليه»⁽¹⁾ .

الرحمة في الاصطلاح:

عرفها الراغب في مفرداته بقوله: "رقّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُوم"⁽²⁾ ثم فصّل قائلًا: وقد تستعمل تارة في الرّقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرّقّة، نحو: رَحِمَ اللّٰه فلانًا.⁽³⁾ وإذا وصف بها اللّٰه سبحانه وتعالى فالمراد بها رحمة حقيقية هي وصف له لا تشبه رحمتنا⁽⁴⁾.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٣/٣٩٨، ولسان العرب لابن منظور: ١٢/٢٣١.

(٢) المفردات للراغب: ١٩١.

(٣) المرجع السابق ذات الصفحة.

(٤) تفسير المنار: ونصه «: فَقَاعِدَةُ السَّلَفِ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ الَّتِي وَصَفَ اللهُ تَعَالَى بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِه، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِه أَنْ نُثْبِتَهَا لَهُ وَنُمِرَّهَا كَمَا جَاءَتْ مَعَ التَّنْزِيهِ عَنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ الثَّابِت عَقْلًا وَنَقْلًا بِقَوْلِه سبحانه وتعالى (لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ) فَنَقُولُ: إِنَّ لِلَّه عِلْمًا حَقِيقِيًّا هُوَ وَصْفٌ لَه، وَلَكِنَّهُ لَا يُشْبِهُ عِلْمَنَا، وَإِنَّ لَهُ سَمْعًا حَقِيقِيًّا هُوَ وَصْفٌ لَهُ لَا يُشْبِهُ سَمْعَنَا، وَإِنَّ لَهُ رَحْمَةً حَقِيقِيَّةً هِيَ وَصْفٌ لَهُ لَا تُشْبِهُ رَحْمَتَنَا الَّتِي هِيَ انْفِعَالٌ فِي النَّفْسِ، وَهَكَذَا نَقُولُ فِي سَائِرِ صِفَاتِهِ تَعَالَى فَنَجْمَعُ بِذَلِكَ بَيْنَ النَّقْلِ وَالْعَقْلِ» (١/٦٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المتأمل في التعريف اللغوي والاصطلاحي يلمح اتحادًا بينهما في أن الرحمة رقة وزيادة رأفة وإحسان، وإن كانت في حق اللّٰه ﷻ فالمراد بها الإحسان المجرد المطلق لمخالفته ﷻ للحوادث، إذ ليس كمثله شيء.

* * *

المطلب الثاني
أسباب رحمة الله لعباده سبحانه وتعالى

رحمة الله سبحانه وتعالى لعبادة لا تحصى عددًا؛ لأنها من نعمه، ونعم الله سبحانه وتعالى لا نستطيع عدّها بنص القرآن الكريم، قال تعالى: «﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم:٣٤] وعلى ذلك فإن أسباب حلول الرحمة بالمرحومين أيضًا كثيرة، ومن خلال استقراء آي القرآن الكريم نستطيع الوقوف على أسباب كثيرة لنزول الرحمة من الله على عباده منها:

- **الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله:**

من أسباب رحمة الله بعباده قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة] والآية الكريمة تحمل وعدًا من الله بالرحمة لكل من طبق محتواها من عباده، بداية من اتحاد القلوب مودة ومحبة وتعاطفًا، ممثلًا ذلك في أن "بعضهم أولياء بعض" مرورًا بأسباب تطهير المجتمع من خلال عبادة الله وحده، وترك عبادة من سواه، وبالتبعية

التزام كل عُرف حسن شرعًا، واجتناب ما خالفه، قال القرطبي: "يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ أَيْ: بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدِه، وَكُلِّ مَا أَتْبَعَ ذَلِكَ، "وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ" عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَكُلِّ مَا أَتْبَعَ ذَلِكَ(١)" وَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ مِنْ أَخَصِّ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي يَمْتَازُونَ بِهَا عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَعَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَهُمَا سِيَاجُ حِفْظِ الْفَضَائِلِ، وَمَنْعُ فُشُوِّ الرَّذَائِلِ(٢) ويقيمون الصلاة المكتوبة، ويؤدون الزكاة المفروضة، إذ هما من أعظم أسباب رحمة الله لعباده، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور] وقال ﷾ في أمر الزكاة: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦] وتذكر آية التوبة قبل ختامها بموعود الله بالرحمة: أن على المسلم أن يكون مطيعًا لله ولرسوله، وكون طاعة الله ورسوله مجلبة للرحمة جاء في آيات من القرآن العظيم منها آية آل عمران: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ ثم يأتي الختام المنتظر: "أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" وَالسِّينُ فِي قَوْلِهِ: "سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ" مُدْخَلَةٌ فِي الْوَعْدِ مُهْلَةً لِتَكُونَ النُّفُوسُ تَتَنَعَّمُ بِرَجَائِهِ، وفضله ﷾(٣) وعبارة أبي حيان: "ولما كانت الرحمة هنا عبارة عما يترتب على تلك الأعمال الصالحة من الثواب والعقاب في الآخرة، أتى بالسين التي تدل على استقبال الفعل أنّ الله عزيز غالب على كل شيء، قادر عليه، حكيم واضع كلاًّ موضعه"(٤). ومن هدايات هذه الآية الكريمة أن رحمة الله تستوجب العمل حسب منهج الله لينجز موعوده ﷾ للمرحومين، ذلك الذي فُسر بالآية اللاحقة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة] وبما جاء في غيرها

---

(١) القرطبي: ٨/ ٢٠٣.

(٢) المنار: ١٠/٤٦٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) البحر المحيط: ٥/٧١.

من رحماته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة فرائضه ﷾ كل ذلك يؤدي إلى اعتصام المجتمع المسلم بالله وحده، وهو السبب التالي.

- **الاعتصام بالله ﷾:**

من أسباب رحمة الله بعباده في القرآن الكريم: الإيمان بالله مع الاعتصام به ﷾، هذا منطوق قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾ [النساء] الآية الكريمة جاءت عقب آية دعت الناس جميعًا للاعتراف برسالة سيدنا محمد ﷺ وبالقرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء] وفصلت القول فيمن آمن بالله ربًا، واعتصم ولاذ بدينه، وعصم نفسه من زيغ الشيطان، فإن الله يهبه رحمة ترضيه، وتغنيه عما سواه ﷾، يقول صاحب زهرة التفاسير: "ولكن ما هي الرحمة؟ وما هو الفضل، وما هي الهداية؟ ثم أهذا الجزاء في الدنيا أم هو في الآخرة؟ أم هو فيهما معا؟ لم يبين النص الكريم مكان ذلك الجزاء المؤكد، وعندي أن هذا الجزاء في الدنيا والآخرة".

وعلى هذا يكون معنى الرحمة في الدنيا أن يكونوا في سعادة واطمئنان وهدوء بال، لأنهم فوضوا أمورهم للعلي الأعلى الذي ليس كمثله شيء، وهو العلي الحكيم، وركنوا أنفسهم إلى الملجأ الأعصم، والركن الأمكن، فاطمأنوا بالله ﷾، وبذكره، وبامتلاء قلوبهم به، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد]، ولا شك أن شقاء الناس في الدنيا سببه انحرافهم عن الجادة وانشغالهم بأمور توجد، بلبالًا مستمرًاواضطرابًا دائمًا، من خصومات، وأحقاد، وحسد، ولجاجات، ومن شأن المؤمن أن يعلو عن سفساف هذه الأمور، فيكون في راحة واطمئنان بال، وكل آفة بالجسم تهون بجوار الاطمئنان

بالله، وكل نعيم مادي دنيوي يذهب به القلق وعدم الاطمئنان، هذه رحمة الدنيا، أما رحمة الآخرة، فهي النعيم المقيم، وجنات عدن خالدين فيها أبدًا، هذه الرحمة بنوعيها، ومعانيها،(١) ومن عاين رحمة الله بقلبه أو بقالبه من خلال اعتصامه بربه فإنه يتقي الله في سره وعلنه، وهذا هو السبب التالي لتنزل الرحمات من الله.

- **تقوى الله في السر والعلن**

من أسباب رحمة الله بعباده في القرآن الكريم: تقوى الله ﷾ قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦] ”ورحمتي وسعت كل شيء“ العموم فيها عموم كامل صادق، لذا لم يقل: ”كل شخص“، للإشارة إلى أن الرحمة شاملة عامة للأشياء والأشخاص، فشريعته عدل ورحمة، وإرساله الرسل عدل ورحمة، وخلقه الكون وما فيه من شمس مشرقة مضيئة للكون وقمر منير ونجوم ذات بروج وسحاب ورياح مرسلات رحمة، وهكذا كل ما سخره الله ﷾ للإنسان، وما مكنه منه رحمة به، هذه إشارة إلى معنى العموم الذي اشتمل عليه ذلك النص السامي، وما ترمي إليه رحمته، وإن نعيم الجنة رحمة من الله، وقد كتبها الله ﷾ للذين يؤمنون بالله وبالآخرة، ولذا قال تعالى: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ والفاء هنا لتفصيل بعض العام، والسين لتأكيد المستقبل، و”أكتبها“، أي: أسجلها غير قابلة للمحو، وذكر أعمال أو أوصاف من يستحقونها، فكانت خصالًا ثلاثًا: الأولى – التقوى واستشعار مخافة الله، وأن يتخذوا وقاية بينهم وبين الشر، وذلك بتهذيب أنفسهم بالعبادات المهذبة للنفس، التي يستشعر فيها المؤمن خشية الله ﷾، وابتدأ ﷾ بها لأنها أساس قوة الخير، وهي روح التدين، وعمران القلب بذكر الله ﷾“(٢).

---

(١) زهرة التفاسير: ٤/ ١٩٩٣.

(٢) زهرة التفاسير: ٦/٢٩٦٦.

والتقوى من علل إرسال الرسل وحلول الرحمة بأصحابها لقوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣﴾ [الأعراف] لتتقوا أي: لتوجد منك التقوى، وهي علة ثانية تلت العلة الأولى وهي الإنذار، ثم جاءت العلة الثالثة المترتبة على الثانية ”ولعلكم ترحمون“ أي: ولترحموا بسبب التقوى إن وجدت منكم.

قال بعض العلماء: وهذا الترتيب في غاية الحسن، لأن المقصود من الإرسال الإنذار، ومن الإنذار التقوى. ومن التقوى الفوز بالرحمة، وفائدة حرف الترجي (وَلَعَلَّكُمۡ) التنبيه على عزة المطلب، وأن التقوى غير موجبة للرحمة، بل هي منوطة بفضل الله، وأن المتقي ينبغي ألا يعتمد على تقواه ولا يأمن عذاب الله»(١).

وقد وردت التقوى في سورة يس مؤكدة للموضعين السابقين مُذَيّلَة بالرحمة فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٥﴾ [يس] أي: يرحمكم ربكم إن أنتم حذرتم ذلك، واتقيتموه بالتوبة من شرككم والإيمان به، ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم ﷾(٢) وتأتي آية الحديد وهي الرابعة التي تفيض رحمة على المتقين وتؤكد مضمون ما سبقها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد] والكفلان لا يعلم وصفهما ولا قدرهما إلا الله ﷾، أجر على الإيمان، وأجر على التقوى، أو أجر على امتثال الأوامر، وأجر على اجتناب النواهي، أو أن التثنية المراد بها تكرار الإيتاء مرة بعد أخرى(٣)، ومن هدايات الآية أن من اتقى ربه وخافه أكرمه ﷾ برحمة ونور ومغفرة في ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا

---

(١) مفاتيح الغيب: ٢٠٠٨/١، وانظر: التفسير الوسيط لطنطاوي: ٣٠٠/٥ وحاشية الجمل على الجلالين: ١٥٥/٢.

(٢) جامع البيان: ٥٢٦/٢٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن: ٨٤٣.

مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ [الشعراء]، فالتقوى من أبرز أسباب الرحمة، وهي «أَعْلَى دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ»(١).

ومن مكتنزات التقوي وجوالبها: الإنصات لكلام الله ﷻ، وهو سبب مهم من أسباب الرحمة بنا وهو السبب التالي:

- **الاستماع للقرآن والإنصات له.**

من أهم أسباب الرحمة بالعباد الاستماع للقرآن الكريم والإنصات له لقوله ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٣-٢٠٤] نلمح كما يلمح القارئ الكريم وصف القرآن الكريم لذاته بالهدى والرحمة للمؤمنين "هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" والذي اشتمل على هذه الأوصاف حريّ بأن يُصغى إليه، حتى يحصل منه للمنصت هذه النتائج العظيمة وينتفع بها؛ فيستبصر من العمى، ويهتدي من الضلال ويرحم بها(٢). وحري بأن نتأدب معه ونرغب في تلاوته التي بها نرجوا تجارة لن تبور لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر] والتلاوة الخاشعة تفيض رحمة على القارئ، وعلى المُنصت المتدبّر للقرآن الكريم، وهذا ما أرسته الآية الكريمة ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ والإنصات من لوازم الاستماع للقرآن، يقول الشيخ السعدي "فمن لازم الاستماع والإنصات؛ حين يتلى كتاب اللّه، فإنه ينال خيرًا كثيرًا وعلمًا غزيرًا، وإيمانًا مستمرًا متجددًا، وهدىً متزايدًا، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب اللّه حصول الرحمة عليهما؛

---

(١) التحرير والتنوير: ٤/٨٨.
(٢) البحر المحيط: ٤/٤٤٨.

فدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير⁽¹⁾ والسنة تفيض جنباتها بما صح عن النبي ﷺ ترغيبًا في تلاوة القرآن والاستماع إليه لنغنم رحمة اللّٰه ﷾".

ومن أهم أوقات قراءة القرآن أو الاستماع إليه أو القيام به في صلاة الليل خاصة وقت السحر قيامًا للّٰه به، وهو سبب رئيس لنوال رحمة اللّٰه ﷾ وهو السبب التالي.

- **قيام الليل:**

من أسباب رحمة اللّٰه بعباده في القرآن الكريم: قيام الليل، قال تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر] سياق هذه الآية الكريمة: ﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:٨] وبضميمته للاحقه فإنه يظهر مفارقة بين الكافر والعابد: "أهذا الكافر المتمتع بكفره خير، أم من هو عابد لربه طائع له، يقضي ساعات الليل في القيام والسجود لله، يخاف عذاب الآخرة، ويأمُل رحمة ربه؟ قل -أيها الرسول-: هل يستوي الذين يعلمون ربهم ودينهم الحق والذين لا يعلمون شيئًا من ذلك؟ لا يستوون. إنما يتذكر ويعرف الفرق أصحاب العقول السليمة"⁽²⁾ فالطائع العابد المجد في الطاعة الذي يقرأ القرآن ويطيل قيام الليل بين السجود، والقيام يكون بين الخوف من عذاب اللّٰه وعقابه، الذي يمثله في الآية قوله ﷾: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ وبين الرجاء والأمل الذي يبينه قوله تعالى: ﴿وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ ورجاء الرحمة كما تبين الآية الكريمة ليس بالأماني الجوفاء، بل بالعمل الجاد ومجافاة المضاجع.

وفى توقيت القنوت بالليل، إشارة إلى المعاناة التي يجدها المؤمن فى

---

(1) تيسير الكريم الرحمن: ٣١٤.
(2) التفسير الميسر: ٤٥٩.

طاعة ربه، حيث يهجر النوم بالليل ويقهر سلطانه. وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦﴾ [المزمل] أي: "إِنَّ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ تَزْكِيَة وَتَصْفِيَة لِسِرِّكَ وَارْتِقَاء بِكَ إِلَى الْمَرَاقِي الْمَلَكِيَّة"(١) ويقول سبحانه وتعالى في الثناء على القائمين بالليل، وما لهم من جزاء عظيم عنده سبحانه وتعالى: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ [الذاريات] وقوله تعالى في خواتيم آية الزمر: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]. كان مقتضى السياق أن تجيء المفاضلة بين المؤمن والكافر، أو بين من يذكر الله ومن لا يذكره، فيقال مثلًا: هل يستوى المؤمنون والكافرون؟ أو هل يستوي من يذكر الله ويشكر له، ومن يكفر بالله ويمكر به؟. ولكن جاءت المفاضلة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، للإشارة إلى أن العلم، هو الذي تقوم عليه قيم الناس، وتثقل أو تخفّ به موازينهم، فى أي: أمر من أمور الدنيا، أو الدين..(٢) وعليه مدار الرحمة وجودا وعدما، ومن هدايات هذه الآية أن قيام الليل شرف المؤمن وسبب من أسباب تنزل الرحمات على عباد الله القائمين المصلين.

ومن قام ليله بالقرآن، رق قلبه وانعطف على المسلمين من كان هذا سمته لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار حتى يدخل من في محيطه في السلم والسلام، وهذا يستدعيه للسعي في إصلاح ما بين الناس ومَنْ علاقات متباينه، وعين ما يقوم به من إصلاح هو سبب من أسباب نزول الرحمات على عباد الله سبحانه وتعالى، وهو السبب التالي.

- **إصلاح ذات البين:**

من أسباب رحمة الله بعباده إصلاح ذات البين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات] هذه الآية الكريمة

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٢٦٢.
(٢) التفسير القرآني للقرآن: ١٢/ ١١٢٧.

تبين أن المؤمنين تجمعهم أخوة الدين، وقد جاء في تضاعيف السنة الصحيحة أحاديث كثيرة تؤكد على أن المسلم أخ المسلم، ويجب أن يكون في عون أخيه، بل كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وإن كان من تباين أو خصام، أو قتال فالواجب ألا يقف الأخوة موقفا سلبيًا، بل يقوم جمع منهم بالصلح والتوفيق بقدر الطاقة ووفق الاستطاعة ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾ يعني: الفئتين المقتتلتين ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: في جميع أموركم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ ومجيء لعل قبل «ترحمون» مشعر بعزة منالِ الرحمة وكونها لا تنال إلا بعمل دؤوب، تلك التقوى التي تدخل في أمر الإصلاح دخولًا أوليًا كسبب رئيس لتفضل الباري برحمته بعباده يقول السعدي: أمر الله ﷾ إيانا بالتقوى عمومًا، ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله، الرحمة فقال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ وإذا حصلت الرحمة، حصل خيري الدنيا والآخرة، ودل ذلك، على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة(١) وقد اختيرت الرحمة هنا؛ لأن شأن التعامل الأخوي هو الرحمة، ثمرة ونتيجة، والجزاء من جنس العمل، ومن هدايات هذه الآية الكريمة: أن من موجبات الرحمة تقوى الله ﷾ والخوف منه في كل أمر وخاصة ما يتصل بأبواب الإصلاح بين الناس مصداق ذلك ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ [النساء:٣٥] على اختلاف محامل الآية الكريمة.

ومما هو من لوازم الإصلاح بين الناس الصبر الجميل ليثمر هذا الإصلاح ثمرته، وهذا سبب من أوجه أسباب تنزل الرحمات، وهو السبب التالي.

- **الصبر لحكم الله ﷾:**

من أسباب رحمة الله بعباده الصبر لحكمه ﷾، قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: ٨٠٠.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة]

هذه الآيات الكريمات تبين أن على المؤمن أن يكون ثابتًا لا يهتز لجزع أو قنوط من رحمة اللّٰه عند تعرضه للابتلاء في دنياه، ومن لطف اللّٰه بعباده الموحدين تخفيفه البلاء، نلمح ذلك من خلال كلمة «شيء من الخوف والجوع: "وَجِيءَ بِكَلِمَةِ ﴿بِشَيۡءٖ﴾ تَهْوِينًا لِلْخَبَرِ الْمُفْجِعِ، وَإِشَارَةً إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ هَذَا الِابْتِلَاءِ وَبَيْنَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ اللَّذَيْنِ سَلَّطَهُمَا اللَّهُ عَلَى بَعْضِ الْأُمَمِ عُقُوبَةً، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢]، وَلِذَلِكَ جَاءَ هُنَا بِكَلِمَةِ ﴿بِشَيۡءٖ﴾ وَجَاءَ هُنَالِكَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْمُلَابَسَةِ وَالتَّمَكُّنِ"[1] يعقب الرضا بقضاء اللّٰه وقدره بشرى للراضين الصابرين صبرًا لا شكوى فيه ولا جزع وهو الصبر الأكمل، وهو الصبر الجميل، الذي يحتوي الاسترجاع: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ هؤلاء الذين أعلى اللّٰه مقامهم ومراتبهم عنده كما نلمح ذلك في التعبير بـ ﴿أولئك﴾عليهم من اللّٰه صلوات ورحمة، والصلاةُ من اللّٰه ﷻ المغفرةُ والرأفةُ وجمعُها للتنبيه على كثرتها وتنوُّعِها والجمعُ بينهما وبين الرحمةِ للمبالغةِ كما في قولِهِ تعالى: ﴿رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ﴾ [الحديد:٢٧] و﴿لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٤٣] والتنوين فيهما للتفخيم والتعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ مع الإضافة إلى ضميرهم ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ لإظهارِ مزيدِ العناية بهم أي: أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلةِ عليهم فنونُ الرأفة الفائضة من مالك أمورهم ومبلِّغهم إلى كمالاتهم اللائقة بهم، وَالصَّلَوَاتُ هُنَا التَّزْكِيَاتِ وَالْمَغْفِرَاتِ، وَلِذَلِكَ عُطِفَتْ عَلَيْهَا الرَّحْمَةُ الَّتِي هِيَ مِنْ مَعَانِي الصَّلَاةِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٦] وفي تكرير ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ لإظهارِ كمالِ العناية بهم ﴿هُمُ

---

[1] التحرير والتنوير: ٢/٥٤.

ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ للحق والصواب مطلقًا(١)، والخلاصة أن الله ﷻ لم يمن على عباده الصابرين بالمغفرة والرضوان فقط وحسبهما جزاء للصبر ولكن منَّ بالرحمة، رحمة الله ﷻ التي وسعت كل شيء، فرحمهم في الدنيا بالهداية والتوفيق لفعل الخير، ورحمهم في الآخرة بالنعيم المقيم.(٢) ومن هدايات آيات سورة البقرة: الجزم بأن أقوى أسباب رحمة الله بعباده كون العبد عبدًا حقيقيًا من خلال رضاه بقضاء الله وقدره.

وبما أن الصابر يعفو ويصفح احتسابًا للأجر عند الله؛ لذا كان السبب التالي من أسباب الرحمة في القرآن الكريم.

- **العفو عند المقدرة:**

من أسباب الرحمة بعباد الله ﷻ في القرآن الكريم: العفو عن المسيء رغم المقدرة على معاقبته، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة] معنى الآية الكريمة إجمالًا: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه فرض الله عليكم أن تقتصوا من القاتل عمدًا بقتله، بشرط المساواة والمماثلة: يُقتل الحر بمثله، والعبد بمثله، والأنثى بمثلها. فمن سامحه ولي المقتول بالعفو عن الاقتصاص منه والاكتفاء بأخذ الدية -وهي قدر مالي محدد يدفعه الجاني مقابل العفو عنه- فليلتزم الطرفان بحسن الخلق، فيطالب الولي بالدية من غير عنف، ويدفع القاتل إليه حقه بإحسان، من غير تأخير ولا نقص. ذلك العفو مع أخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة بكم؛ لما فيه من التسهيل والانتفاع. فمَن قتل القاتل بعد العفو عنه وأَخْذِ الدية فله عذاب أليم بقتله قصاصًا في

---

(١) إرشاد العقل السليم: ١/١٨١، ١٨٠.

(٢) زهرة التفاسير: ١/١٧٥.

الدنيا، أو بالنار في الآخرة"(١) نلحظ أن سبب التخفيف وحلول الرحمة في هذه الآية الكريمة هو مسامحة ولي المقتول بالعفو عن القصاص والاكتفاء بالدية عندما يري أن ذلك هو الأصلح له ولمجتمعه، وهذا يعكس وسطية هذا الدين القويم، إذ إن «القصاص في النفس والجراح كان حتمًا في التوراة على اليهود، ولم يكن لهم أخذ الدية، وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم القصاص، فخيّر اللّه هذه الأمة بين القصاص وبين العفو عن الدية تخفيفًا منه ورحمة(٢) وقد أمتع وأبهج صاحب البحر بما علله من كون العفو رحمة فيما بيننا، وهو سبب من أسباب رحمة اللّه بنا فقال: "لأن من استبقى مهجتك بعد استحقاق إتلافها فقد رحمك. وأيّ رحمة أعظم من ذلك؟ ولعل القاتل المعفو عنه يستقل من الأعمال الصالحة في المدة التي عاشها بعد استحقاق قتله ما يمحو به هذه الفعلة الشنعاء، فمن الرحمة إمهاله لعله يصلح أعماله"(٣)، ذلكم هو شرع اللّه وتطبيقه واعتباره هو سبب الرحمة ونزولها بنا من الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى.

ومن تصدق بحقه في القصاص تفضلًا هانت عليه نفسه إذا فقدها في سبيل اللّه سبحانه وتعالى وهو السبب التالي:

- **الهجرة والجهاد في سبيل اللّه سبحانه وتعالى:**

من أسباب رحمة اللّه بعباده هجرة المؤمن وطنه، وجهاده في سبيل رفعة راية الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ﴾ [البقرة] الآية الكريمة تؤكد أن الذين آمنوا باللّه سبحانه وتعالى، والذين هاجروا من أوطانهم وذويهم في سبيل اللّه سبحانه وتعالى، وبذلوا أرواحهم رخيصة لإعلاء كلمة

---

(١) التفسير الميسر: ٢٧

(٢) معالم التنزيل: ١/١٩٠

(٣) البحر المحيط: ٢/١٧.

التوحيد وسيادتها في أرض اللّه الواسعة هم الذين يرجون رحمة اللّه، حيث إنهم أتوا بسبب موجب للرحمة ألا وهو الإيمان والهجرة، ومصاحبة ذلك للجهاد في سبيل اللّه ﷾، وكيف لا يرجون وهم أصحاب الدرجة العظمى في ثواب الأعمال، بل هم الفائزون برضوان اللّه، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة] "وَالْإِتْيَانُ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُمُ اسْتَحَقُّوا الْفَوْزَ لِأَجْلِ تِلْكَ الْأَوْصَافِ الَّتِي مَيَّزَتْهُمْ: وَهِيَ الْإِيمَانُ وَالْهِجْرَةُ وَالْجِهَادُ بالأموال والأنفس"⁽¹⁾ ولا يخفى على مسلم أن هذا حق صحابة نبينا ﷺ الذين انبنى على جهودهم وجهادهم الإسلام، وهم من رد الناس إلى شريعة اللّه ﷾، لذا كانوا أعظم درجة عند اللّه من جميع الخلق.⁽²⁾

وقد بين اللّه ﷾ الدرجة الأعظم التي نالوها بأنها الرحمة والرضوان والنعيم المقيم في الجنة حيث قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة:٢٠] ومعلوم أنه لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وبما أن الحراك الإيماني الممثل في الهجرة أو الجهاد ينجم عنه الخروج طواعية من الديار أو عدم الرجوع إليها بالموت، من هنا آن لنا أن نتعرض للسبب التالي للرحمة وهو: الموت أو القتل في سبيل اللّه.

- **الموت أو القتل⁽³⁾ في سبيل اللّه ﷾:**

من أسباب رحمة اللّه بعباده: نيل الشهادة في سبيل اللّه ﷻ قال تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

---

(١) التحرير والتنوير: ١٠/ ١٤٩.

(٢) المحررالوجيز: ١٧/٣.

(٣) لا يخفى على لبيب الفرق بين الموت والقتل حيث إن القتل يكون بنقض البنية، أما الموت فيكون بلا نقض لبنية الإنسان أي: بسلب الروح مع تمام البناء الجسدي العضوي للميت. انظر: تفسير الشعراوي خواطري حول القرآن الكريم ١/١٦٣٥.

[آل عمران] الموت في سبيل الله أو القتل معناه بيع النفس رخيصة في سبيل ما عند الله من الأجر الجزيل لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة] يقول العلامة الشنقيطي: "ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةَ أَنَّ الْمَقْتُولَ فِي الْجِهَادِ وَالْمَيِّتَ كِلَاهُمَا يَنَالُ مَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ، وَرَحْمَةً خَيْرًا لَهُ مِمَّا يَجْمَعُهُ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَأَوْضَحَ وَجْهَ ذَلِكَ فِي آيَةٍ أُخْرَى بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْهُ حَيَاةً قَصِيرَةً فَانِيَةً مُنَغَّصَةً بِالْمَصَائِبِ وَالْآلَامِ بِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ لَذِيذَةٍ لَا تَنْقَطِعُ وَلَا يَتَأَذَّى صَاحِبُهَا بِشَيْءٍ، وَاشْتَرَى مِنْهُ مَالًا قَلِيلًا فَانِيًا بِمُلْكٍ لَا يَنْفَدُ وَلَا يَنْقَضِي أَبَدًا، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ٢٠﴾ [الإنسان]، وَبَيَّنَ فِي آيَةٍ أُخْرَى أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ، وَرَحْمَتَهُ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُهُ أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْ حُطَامِهَا وَزَادَ فِيهَا الْأَمْرَ بِالْفَرَحِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ دُونَ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [الزخرف:٣٢](١) ومن هدايات آية آل عمران أن من مات في سبيل الله أو قتل فإن الله يبشره ببشارتين» بمغفرة تمحو ما كان من ذنوبه وسيئاته، ورحمة ترفع درجاته"(٢)، وهذا فيه من الترغيب ما فيه، شريطة ألا يعيث في الأرض فسادًا كبعض من يسمون أنفسهم بالمجاهدين في عصرنا الحاضر من الدواعش وأضرابهم، والجهاد منهم بريء بعد أن

---

(١) أضواء البيان: ١/ ٢١٤.

(٢) المنار: ٤/١٦١، والمراغي: ٤/١١٠.

شوهوا صورة الإسلام وأدانوا المسلمين ظلمًا برقيع عملهم، وجهل قولهم.

ولا شك أن من عاش من الموحدين فإنه يعيش لله سبحانه وتعالى، لذا يفر بدينه ويعتزل الكافرين وكفرهم، وهذا هو السبب التالي من أسباب الرحمة.

- **اعتزال الكافرين وما يعبدونه:**

سبب من الأسباب الرئيسة لنزول الرحمة من الله على عباده يتمثل في اعتزال الكافرين بالله واعتزال ما يعبدونه من باطل، حماية للدين وخوفًا على صفاء عقيدة التوحيد من أن تمس بسوء، يتضح ذلك جليا من خلال الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، إذ اعتزلوا قومهم موالاةً لله، وبراءةً من عبادة من سواه سبحانه وتعالى، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾ [الكهف] ومضمون هذه الآية أن أهل الكهف قبل الإيواء إلى كهفهم قال بعضهم لبعض: بعد أن "فارقنا الكفار وانفردنا بالله سبحانه وتعالى فلنجعل الكهف مأوى ونتكل على الله فإنه سيبسط لنا رحمته وينشرها علينا، ويهيىء لنا من أمرنا مِرفَقًا، وهذا كله دعاء بحسب الدنيا، وعلى ثقة من الله كانوا في أمر آخرتهم"(١) يقول الشنقيطي: "وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اعْتِزَالَ الْمُؤْمِنِ قَوْمَهُ الْكُفَّارَ وَمَعْبُودِيهِمْ مِنْ أَسْبَابِ لُطْفِ اللَّهِ بِهِ وَرَحْمَتِهِ"(٢) وقد حفل القرآن بتقرير هذه القاعدة القرآنية ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ [مريم:٤٩ وما بعدها] حيث تبع اعتزال إبراهيم عليه السلام للكافرين وما يعتقدونه إفضال من الله وإنعام منه بالذرية الصالحة، وما شابه ذلك مما يرتجى حصوله من الله للمؤمن.

وبعد... ففي ختام هذا المطلب أقول: إن ما ذكرتُه من أسباب رحمة الله

---

(١) المحرر الوجيز: ٣/٥٢٤.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي: ٣/ ٢١٧.

بعباده من خلال آي الذكر الحكيم هو قليل من كثير من أسباب الرحمة المسطورة في القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية المطهرة، وما أدركته العقول، وهو على سبيل المثال لا الحصر، لكن ما الآثار المترتبة على وجود رحمة الله ﷻ؟... هذا ما يجيب عنه المطلب الثالث والأخير...

* * *

المطلب الثالث
آثار رحمة اللّٰه بعباده ومظاهرها

ذكرتُ في خواتيم المطلب السابق أن ما تم سرده من أسباب رحمة اللّٰه بعباده في القرآن هو من قبيل المثال لا الحصر، كما أن آثار نعم اللّٰه(١) على عباده يستحيل حصرها، لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النحل]، ولتيقننا هذه الحقيقة فإن هذا المطلب سيتضمن أمثلة لآثار رحمة اللّٰه بخلقه كله و«أَثَرُ الشَّيْءِ: مَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَيْه. فَرَحْمَةُ اللَّهِ دَلَّتْ عَلَيْهَا الْآثَارُ الدَّالَّةُ عَلَى وُجُودِهِ وَتَصَرُّفِهِ بِمَا فِيهِ رَحْمَةٌ لِلْخَلْقِ»(٢) من هذه الآثار المستقاة من القرآن الكريم ما يتعلق بالكون المنظور، ومنها ما يتعلق بخليفة اللّٰه في أرضه:

أولًا: آثار رحمة اللّٰه بنا ومظاهرها من خلال الكون المنظور:

- **الأرض:**

تجلت آثار الرحمن الرحيم على عباده من خلال الأرض بأن جعلها سهلة ممهدة منبسطة، قرارًا وكفاتًا، صالحة للاستقرار والسعي عليها لتحصيل أسباب الرزق،، وَأَطْلَعَ فيها الْفَوَاكِهَ وَالْأَقْوَاتَ وَالْمَرْعَى، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ [البقرة:٢٢] وقال عز من قائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ

---

(١) يقول أبو حيان في البحر تعليقًا على قوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ [فصلت:٥٠] "سَمَّى النِّعْمَةَ رَحْمَةً، إِذْ هِيَ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللّٰه" ٩/٣١٥.

(٢) التحرير والتنوير: ٢١/١٢٣.

ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ [الملك]، وهو سبحانه وتعالى الذي جعل الأرض كفاتًا و ﴿كِفَاتًا﴾: الستر والوعاء الجامع للشيء.. تكفت الأحياء على ظهرها، وتكفت الأموات في بطنها ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾﴾ [المرسلات][1].

وهو سبحانه وتعالى الذي قدَّر في الأرض أقواتها فقال عز من قائل: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت].

وشق فيها البحار لمنافع فصلها ربنا تفصيلًا في كتابه العزيز ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾﴾ [إبراهيم:٣٢] وكما أجرى سبحانه وتعالى الفلك في البحر لمنافع خلقه، فقد أودع برحمته في البحار أيضًا اللؤلؤ والمرجان ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن] واللحم الطري ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل] إلى آخر منافع البحار والمجاري المائية التى هي من آثار رحمة الله بنا.

- **السماء:**

من آثار رحمة الله بنا أن جعل لنا سبحانه وتعالى السماء سقفًا محفوظًا: » ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ [الأنبياء:٣٢] وكما جعل الله سبحانه وتعالى الأرض بما فيها وما عليها آية من آيات الرحمة وآثارها، فقد جعل سقفها كذلك، إذ أوجد في السماء غيثًا مغيثًا لعباده الصالحين ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى] واستودعها شمسًا وقمرًا

---

[1] المحرر الوجيز: ٤١٩/٥.

منيرًا لولاهما لفسدت الأرض وتعفن الكون ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان] ونجومًا لنهتدي بها في الظلمات ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام] وقال ﷻ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل].

ومن آثار رحمته ﷻ بكونه وخلقه مما يتعلق بالسماء وما تحتويه تعاقب الليل والنهار ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص] والآيات تنطق أن هذه التقلبات من صميم رحمة الله بخلقه، وهذا يسترعي الانتباه، ويستميل النفوس لتتالي رحمة الله بنا.

- **ومن الكون المنظور الرياح:**

من آثار رحمة الله بنا: الرياح، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر] قال ابن كثير (لواقح) أي: "تلقح السحاب فتدر ماء، وتلقح الشجر فتتفتح عن أوراقها وأكمامها"(١)، وهذا ما نص عليه القرآن من أنه من آثار رحمة الله، وأنه ﷻ يحيي بالمطر الأرض الميتة كما يحيي الموتى من قبورهم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤/٥٣٠.

إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠﴾ [الروم] وقال سبحانه وتعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨﴾ [الشورى].

والآيات في شأن بيان آثار رحمة الله في الأرض والسماء وما بينهما وما تحت الثرى كثيرة يضيق عنها المقام، والمطلوب أن يتدبر الخلق هذه الآثار الدالة على وحدانية الله ليصلوا إلى التوحيد الخالص وشكر الرحمن الرحيم على هذه النعم وتلك الرحمات لمزيد من عطاء الرحمن الرحيم...

ثانيًا: آثار رحمة الله من خلال الإنسان:

آثار رحمة الله بعباده من خلال خليفة الله في أرضه (الإنسان).

ظهرت آثار رحمة الله بالإنسان من خلال خليفة الله في أرضه الإنسان، ذلك المخلوق المرحوم بداية ونهاية، قال تعالى: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم:٩] وقال سبحانه وتعالى ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ [الإنسان] لم يكن شيئًا مذكورًا ثم خلقه سبحانه وتعالى أطورا وختم تلك الأطوار بقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] وتفضل علينا ربنا بتكريمنا، وتكريمنا في الحقيقة هو عين الرحمة بنا حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء] هذا التكريم من أعظم آثار رحمة الله بعباده، ولم يقف هذا التكريم عند نعمة أو أضعافها، بل تزايد إلى العجز عن الإدراك أو الإحصاء لآثار رحمة الله، وهذه بعض آثار رحمة الله على بني آدم:

- **إرسال الرسل وإنزال الكتب:**

من رحمة الله بعباده إرسال الرسل وخاصة خاتمهم، وإنزال الكتب

ومسكها القرآن، يقول ابن القيم: ”انْظُرْ إِلَى مَا فِي الْوُجُود مِنْ آثَار رَحْمَته الْخَاصَّة وَالْعَامَّة، فَبِرَحْمَته أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ ﷾ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابَهُ وَعَصَمَنَا مِنَ الْجَهَالَة وَهَدَانَا مِنَ الضَّلَالَة وَبَصَّرَنَا مِنَ الْعَمَى وَأَرْشَدَنَا مِنَ الْغَيِّ، وَبِرَحْمَتِهِ عَرَّفَنَا مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ مَا عَرَفْنَا بِهِ أَنَّهُ رَبُّنَا وَمَوْلَانَا“(١).

والإرسال والإنزال من أسباب الرحمة من ناحية ومن آثارها من ناحية أخرى، فبسبب إرسال الرسل وقعت البشارة والنذارة للعباد قال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام:٤٨] وبذلك أثّر الترغيب كما أثّر الترهيب في حياة الخلق من خلالهم، وأثرت رحمة اللّٰه بعباده من خلال إرسال الرسل، يتجلى ذلك فيهم جميعًا صلوات اللّٰه عليهم أجمعين وقد وردت آيات كثيرة في هذا الشأن أبرزها ما كان خطابًا لنبينا ﷺ في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء] والإرسال يحتوي أيضًا الرسالة، قال العلامة ابن عاشور إن هذه الآية: ”صِيغَتْ بِأَبْلَغِ نَظْم إِذِ اشْتَمَلَتْ هَاته الْآيَةُ بِوَجَازَة أَلْفَاظهَا عَلَى مدح الرَّسُول عليه السلام ومدح مُرْسِله تَعَالَى وَمَدْح رِسَالَته بِأَنْ كَانَتْ مَظْهَرَ رَحْمَةِ اللَّه تَعَالَى لِلنَّاس كَافَّةً وَبِأَنَّهَا رَحْمَةُ اللَّه تَعَالَى بِخَلْقِه،... وقد فُطِرَ نبينا عَلَى خُلُق الرَّحْمَة فِي جَمِيعِ أَحْوَالِ مُعَامَلَته الْأُمَّةَ لِتَتَكَوَّنَ مُنَاسَبَةٌ بَيْنَ رُوحه الزَّكِيَّة وَبَيْنَ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنَ الْوَحْي بِشَرِيعَته الَّتِي هِيَ رَحْمَةٌ حَتَّى يَكُونَ تَلَقِّيهِ الشَّرِيعَةَ عَنِ انْشِرَاحِ نَفْسٍ أَنْ يَجِدَ مَا يُوحَى بِهِ إِلَيْهِ مُلَائِمًا رَغْبَتَهُ وَخُلُقَهُ.

وَلِهَذَا خَصَّ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي هَذِه السُّورَة بِوَصْف الرَّحْمَة وَلَمْ يَصِفْ بِه غَيْرَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاء، وَكَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كُلِّه، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾ [آل عمران] أَيْ: بِرَحْمَةٍ جَبَلَكَ عَلَيْهَا وَفَطَرَكَ بِهَا

---

(١) الصواعق المرسلة: ٣٦٨.

فَكُنْتَ لَهُمْ لَيِّنًا... وَأَمَّا الْمَظْهَرُ الثَّانِي مِنْ مَظَاهِرِ كَوْنِهِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَهُوَ مَظْهَرُ تَصَارِيفِ شَرِيعَتِهِ، أَيْ: مَا فِيهَا مِنْ مُقَوِّمَاتِ الرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ، لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: (لِلْعَالَمِينَ) مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ (رَحْمَةً).⁽¹⁾ وفي خطاب نوح عليه السلام لقومه تظهر الرحمة كغاية من غايات إرساله لقومه، قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأعراف].

وإنزال الكتاب من أهم آثار رحمة اللّه بخلقه، حيث بيان الهدى من الضلال قال تعالى خطابًا لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٨٦] وقال تعالى أيضًا: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت:٥١] وقال أيضًا: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢] "وَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ الْعَظِيمُ الشَّأْنِ كَالْعَهْدِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا بِالرَّحْمَةِ لَهُمْ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ، وَالْمَغْفِرَةِ وَالتَّجَاوُزِ وَالسِّتْرِ وَالْإِمْهَالِ وَالْحِلْمِ وَالْأَنَاةِ»⁽²⁾ وفي كتاب موسى عليه السلام يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص] فما على المؤمن إلا أن يؤمن بكل رسل اللّه وكتبه، ويوقن أن هداية اللّه للناس ورحمته بهم تكمن في الاتباع لا الابتداع.

- **الزواج:**

من آثار رحمة اللّه التي عرفناها اتباعًا من خلال الرسل وما أنزل عليهم: الزواج، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد:٣٨].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٧/ ١٦٥.
(٢) الصواعق المرسلة: ٣٦٩.

ومن عين رحمة الله بنا أن جعل لنا أزواجًا من عين جنسنا، يقول ابن القيم: "وَمِنْ رَحْمَتِه ﷻ أَنْ خَلَقَ لِلذَّكَرِ أُنْثَى مِنْ جِنْسِه، وَأَلْقَى بَيْنَهُمَا الْمَحَبَّةَ وَالرَّحْمَةَ، لِيَقَعَ بَيْنَهُمَا التَّوَاصُلُ الَّذي بِهِ دَوَامُ التَّنَاسُلِ، وَانْتِفَاعُ الزَّوْجَيْنِ، وَيُمَتِّعُ كُلُّ وَاحدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِه،⁽¹⁾ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم:٣٨]" وَهِيَ آيَةٌ تَنْطَوي عَلَى عِدَّة آيَات مِنْهَا: أَنْ جُعِلَ لِلْإِنْسَانِ نَامُوسُ التَّنَاسُلِ، وَأَنْ جُعِلَ تَنَاسُلُهُ بِالتَّزَاوُجِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ كَتَنَاسُلِ النَّبَاتِ مِنْ نَفْسِه، وَأَنْ جَعَلَ أَزْوَاجَ الْإِنْسَانِ مِنْ صِنْفِه وَلَمْ يَجْعَلْهَا مِنْ صِنْفٍ آخَرَ؛ لِأَنَّ التَّآنُسَ لَا يَحْصُلُ بِصِنْفٍ مُخَالِفٍ، وَأَنْ جَعَلَ فِي ذَلِكَ التَّزَاوُجِ أُنْسًا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ تَزَاوُجًا عَنِيفًا أَوْ مُهْلِكًا كَتَزَاوُجِ الضَّفَادِعِ، وَأَنْ جَعَلَ بَيْنَ كُلِّ زَوْجَيْنِ مَوَدَّةً وَمُحَبَّةً، فَالزَّوْجَانِ يَكُونَانِ مِنْ قبل التزاوج مُتَجَاهِلَيْنِ فَيُصْبِحَانِ بعد التزاوج مُتَحَابَّيْنِ، وَأَنْ جَعَلَ بَيْنَهُمَا رَحْمَةً فَهُمَا قَبْلَ التَّزَاوُجِ لَا عَاطِفَةَ بينهمَا فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رَحْمَةً فهما قبل التزاوج لَا عاطفة بَيْنَهُمَا فَيُصْبِحَانِ بَعْدَهُ مُتَرَاحِمَيْنِ كَرَحْمَةِ الْأُبُوَّةِ وَالْأُمُومَةِ، وَلِأَجْلِ مَا يَنْطَوي عَلَيْهِ هَذَا الدَّلِيلُ وَيَتْبَعُهُ مِنَ النِّعَمِ وَالدَّلَائِلِ جُعِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَاتٍ عِدَّةً فِي قَوْلِه إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.⁽²⁾

- **الذرية:**

من آثار رحمة الله بعباده هبته إياهم الذرية، تلك الذرية التي هي زينة الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦] إذ الحياة بدون ذرية حياة تصيب أصحابها بالملل، ومن هنا كان دعاء عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤] ومن عباد الرحمن زكريا عليه السلام الذي طلب الذرية قائلًا: ﴿رَبِّ

---

(١) الصواعق المرسلة: ٣٦٩.

(٢) التحرير والتنوير: ٢١/٧١.

لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩] وكانت الاستجابة ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

- **حفظ الصالحين وذريتهم:**

من آثار رحمة الله على عباده سبحانه وتعالى أنه يتولى الصالحين بالحفظ والرعاية، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف] ومن الأمثلة البارزة في القرآن الكريم المبرهنة على ذلك رعاية الله وحفظه للصالحين ولذرياتهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف] والآية تبين كيف حفظ الله ليتيمين مالهما، من خلال نبي هو موسى عليه السلام وعبد من عباد الله الصالحين هو الخضر، وكما تثبت الآيات سياقا أن ذلك ما فعله الخضر من تلقاء نفسه، بل برحمة من الله سبحانه وتعالى وبأمره سبحانه وتعالى، وفي هذا من الدروس والعبر ما فيه لمن ألقى السمع وهو شهيد.

- **احتياج الخلق إلى بعضهم البعض:**

من آثار رحمة الله بالعباد افتقارهم إليه سبحانه وتعالى ليمدهم برحماته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر] وإفقاره سبحانه وتعالى لعباده عين رحمته بهم، حيث يمدهم بقدر فقرهم إليه سبحانه وتعالى، وبما أنهم الفقراء بالألف والام، فإن الله هو ﴿ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ أيضًا بالألف واللام "الْغَنِيُّ: النَّافِعُ بِغِنَاهُ خَلْقَهُ، الْجَوَادُ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ، الْمُسْتَحِقُّ بِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْمَدُوهُ"(١) الذي يمدهم بقدر احتياجهم إليه سبحانه وتعالى.

---

(١) القرطبي: ١٤/٣٧٣

كما أن من آثار رحمته المستبطنة احتياج الخلق إلى بعضهم البعض لقوله تعالى: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف] "لِيَسْتَخْدِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَيُسَخِّرُ الْأَغْنِيَاءُ بِأَمْوَالِهِمُ الْأُجَرَاءَ الْفُقَرَاءَ بِالْعَمَلِ، فَيَكُونُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَبَبَ الْمَعَاشِ، هَذَا بِمَالِهِ، وَهَذَا بِأَعْمَالِهِ، فَيَلْتَئِمُ قِوَامُ أَمْرِ الْعَالَمِ"(١) يقول ابن القيم: "وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَحْوَجَ الْخَلْقَ بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ لِتَتِمَّ مَصَالِحُهُمْ، وَلَوْ أَغْنَى بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ لَتَعَطَّلَتْ مَصَالِحُهُمْ وَانْحَلَّ نِظَامُهَا، وَكَانَ مِنْ تَمَامِ رَحْمَتِهِ بِهِمْ أَنْ جَعَلَ فِيهِمُ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَالْعَزِيزَ وَالذَّلِيلَ، وَالْعَاجِزَ وَالْقَادِرَ، وَالرَّاعِيَ وَالْمَرْعِيَّ، ثُمَّ أَفْقَرَ الْجَمِيعَ إِلَيْهِ، ثُمَّ عَمَّ الْجَمِيعَ بِرَحْمَتِهِ"(٢).

- **الوقاية من الشيطان وكيده.**

من آثار رحمة الله بعباده الصالحين وقايتهم من الشيطان ونزغه، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:٨٣] أي: إلا قليلًا من المخاطبين بالآية الكريمة، وكل من يصلح له هذا الخطاب من الأناسي، وهذا الجزء من الآية الكريمة يمثل امْتِنَانًا بِإِرْشَادِ المؤمنين إِلَى أَنْوَاعِ الْمَصَالِحِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْمَكَائِدِ وَمِنْ حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ وَأَنْصَارِهِ،...(٣) وقد تكرر التحذير من الشيطان ووساوسه في آيات كثيرة كلها تفيض رحمة بنا ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور] فأتباع الشيطان هم المحرومون من فضل الله ورحمته، إذ

---

(١) معالم التنزيل: ٧/٢١٢.

(٢) الصواعق المرسلة: ٣٦٩.

(٣) التحرير والتنوير: ٥/ ١٤٢.

فقدوا عصمة اللّه لعنادهم وركوبهم أهواءهم، وإيثارهم رغبات أنفسهم على فطامها عما حرم اللّه، وجعلهم الخيرة لأنفسهم في سلوك مراداتهم من السبل دون سبيل اللّه، أما القليل الرافضون لهمزات الشيطان على اختلاف أنواعها، والمتقبلون هداية اللّه، والمؤثرون لمرضاته وسلوك سبيله على مرادات أنفسهم وشهواتها، فهم الحائزون على فضله بعصمتهم من أي: شيطان، ورحمتهم بتثبيت قلوبهم، وهم الذين يَأَّسَ اللّه منهم الشيطان وحفظهم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر:٤٢] وهم من استثنوا بإلا ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾ [الحجر] وما حصل ذلك إلا بعناية اللّه ورحمته بعباده الصالحين⁽¹⁾.

- **قبول توبة التائب واستغفار المستغفر:**

من آثار رحمة اللّه بعباده قبوله ﷻ توبة التائب واستغفار المستغفر، قال تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩)﴾ [المائدة] وقال ﷻ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٤] وقال أيضًا ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧] وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٨] وقال أيضًا ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠)﴾ [الفرقان] ولعلنا نلحظ تذييل كل هذه الآيات التى تتحدث عن التائبين بالرحمة كذا آيات الاستغفار ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦)﴾ [النساء] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٦٤] نلحظ ذلك لمزيد من ترغيب

---

(١) صفوة الآثار بتصرف: ٦/١١٤.

العباد في التوبة والاستغفار حتى تشملهم رحمات الله وينعمون بها، ولا غرابة فإن الله سبحانه وتعالى تفضل بكتابة الرحمة على نفسه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤].

- **وعده سبحانه وتعالى للمجاهدين والمهاجرين والصابرين بالرحمة:**

من رحمة الله وبالغ أثرها بالعباد وعده المجاهدين بالرحمة ليبيعوا أرواحهم في سبيل الله رب العالمين، قال تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء:٩٥-٩٦] أي: «هذا الثواب الجزيل منازل عالية في الجنات من الله سبحانه وتعالى لخاصة عباده المجاهدين في سبيله، ومغفرة لذنوبهم ورحمة واسعة ينعمون فيها. وكان الله غفورًا لمن تاب إليه وأناب، رحيمًا بأهل طاعته، المجاهدين في سبيله».⁽¹⁾ وفي المجاهدين الصابرين قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل] مغفرة قرنها الله سبحانه وتعالى بالرحمة وهذا أعظم ما يتمناه العبد.

- **إباحة المحظور لرفع الضرر:**

من آثار رحمة الله بعباده إباحة المحظور لرفع الضرر مع عدم المؤاخذة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة:١٧٣] حوت الآية الكريمة محرمات أباحها سبحانه وتعالى لعباده رحمة بهم وقت الضرورة من ذلك: الميتة وهي التي لم تذبح بطريقة شرعية، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، والذبائح التي ذبحت لغير الله.. فمن ألجأته الضرورة إلى

---

(١) التفسير الميسر: ٩٤.

أكل شيء منها، غير ظالم في أكله فوق حاجته، ولا متجاوز حدود الله فيما أُبيح له، فلا ذنب عليه في ذلك. وهذا من باب المغفرة والرحمة، وقال ﷾: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣] وقال ﷻ في ذلك أيضًا: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام] وتذييل الآية بقوله ﷾: "إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" تَذْييلٌ قُصدَ به الامْتِنَانُ، أَيْ: إِنَّ اللَّهَ مَوْصُوفٌ بِهَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ فَلا جَرَمَ أَنْ يَغْفِرَ لِلْمُضْطَرِّ أَكْلَ الْمَيْتَةِ؛ لِأَنَّهُ رَحِيمٌ بِالنَّاسِ، فَالْمَغْفِرَةُ هُنَا بِمَعْنَى التَّجَاوُزِ عَمَّا تُمْكِنُ الْمُؤَاخَذَةُ عَلَيْهِ لَا بِمَعْنَى تَجَاوُزِ الذَّنْبِ، وَنَحْوِه. ولا يخفى أن رَفْعَ الإِثْمِ عَنِ الْمُضطَرِّ حُكْمٌ يُنَاسِبُ مَنِ اتَّصَفَ بالمغفرة وَالرَّحْمَةِ.(١)

- **إنجاء الصالحين وإعانتهم:**

من آثار رحمة الله بعباده انجاؤه الصالحين وإعانته لهم، ونصرهم على ما يعتريهم من ملمات الحياة، وقد حفل القرآن الكريم بأمثلة يضيق عنها المقام، لكن ما لا يدرك لا يترك؛ لذا سأكتفي هنا بنماذج مختصرة كالعناوين على ما يماثلها:

- فنبي الله هود ﵇ نجاه الله والذين معه من الريح الشديدة التى أهلكت الكافرين من قومه ودمرتهم تدميرًا، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف] وفي موضع آخر قال ﷾: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ [هود].
- وعن نجاة نبي الله صالح ﵇ ومن معه برحمة الله قال تعالى: ﴿فَلَمَّا

---

(١) التحرير والتنوير: ٢/١٢١.

جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾ [هود] ونجاته كانت من الصيحة التي أهلكت كفار قومه أو من ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة(١).

- وعن نجاة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤﴾ [هود] صيحة من السماء أخمدتهم، فأهلكتهم بكفرهم بربهم. وقيل: إن جبريل عليه السلام، صاح بهم صَيحةً أخرجت أرواحهم من أجسامهم ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ على ركبهم، وصرعى بأفنيتهم.(٢) وقد جاءت الرحمة بصيغة التنكير في جميع المواضع التي وردت فيها؛ للتعظيم، ووصفها بأنها من الله للدلالة على كمالها(٣).

- وعن رحمة الله بعبده ونبيه أيوب عليه السلام حيث كشف الله عنه ضره الذي أصابه قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء] وكما أن كشف الضر عن أيوب عليه السلام رحمة من الله به، فكذلك هو ذكرى للعابدين؛ لنعتبر ونعلم أن رحمة الله قريب من المحسنين، وأن مع العسر يسرًا، وأن الإنسان لا يقنط من الفرج بعد الشدة(٤).

- وممن نجاهم الله برحمته من مكر النساء، يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [يوسف].

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي: ٣/١٤٠.
(٢) جامع البيان للطبري: ١٥/٤٦٤.
(٣) التحرير والتنوير: ٨/٢١٤.
(٤) تفسير المراغي: ٢٣/ ١٢٦.

- كذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بانت آثار رحمة الله عليه وبه من خلال مسيرته مع قومه وأمر النار أن تكون عليه بردًا وسلامًا، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ (٧٢)﴾ [الأنبياء] ونبي الله يونس عليه السلام ممن شملتهم آثار رحمة الله لكونه من الصالحين، حيث نجاه الله من ظلمات كثيرة أحاطت به في بطن الحوت، ورعاه الله عندما نبذه الحوت بالعراء وهو سقيم، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٧) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾ [الأنبياء] وقال أيضا ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (١٤٨)﴾ [الصافات] وكذا زكريا عليه السلام نالته رحمة الله سبحانه وتعالى عندما طلب من ربه الذرية الصالحة فأصلح له سبحانه وتعالى زوجه ووهبه يحيي عليه السلام قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧)﴾ [مريم].

- وختام مسك الصالحين نبينا ﷺ الذي نصره ربه وأيده واظفره على عدوه، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾ [التوبة] وأهل الكهف الذين اختاروا ربهم فنشر لهم من رحمته وهيأ لهم من أمرهم رشدًا، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا (١٢) نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا (١٤)﴾ [الكهف] والمواقف التى تبين آثار رحمة الله على الصالحين أكثر من أن تحصى لكن المقام مقام اختصار وإيجاز.

بقي لنا ما يتعلق بآثار رحمة الله في الآخرة بعد أن سردنا من خلال الآيات لفظًا ومعنى ما تيسر من آثار رحمة الله بالإنسان في الدنيا.

من آثار رحمة الله بعباده في الآخرة:

وعد المولى ﷻ عبادَه الصالحين برحمة ينعمون بها في يوم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [الشعراء] من هذه الرحمات:

- **تبييض وجوه الطائعين:**

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ

أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران] وتبييض الوجه علامة من علامات الصلاح يوم القيامة إذ يتبع ذلك تكريم صاحب الوجه وتشريف منزلته بتخليده في دائم النعيم⁽¹⁾.

- **صرف العذاب عن المتقين:**

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنعام] وقد بينت آية أخرى أن مجرد الزحزحة عن النار تثمر الفوز، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥].

- **دخول الجنة مع عظم الدرجة:**

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر] وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء] وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ [الجاثية] وقال تعالى: ﴿دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء].

هذا ما تيسر ذكره من آثار رحمة الله بالكون وبخليفة الله في الأرض الإنسان الذي رحمه ﷻ في الدنيا وفي الآخرة، فاللهم يا رحمن يا رحيم ارحمنا برحمة منك إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.. والله ولي التوفيق.

* * *

---

(١) جامع البيان: ٧/ ٩٦

الخاتمة

بعد رحلة تفسيرية مع كتاب الله سبحانه وتعالى ومن خلال موضوع «رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أسبابها وآثارها في ضوء القرآن الكريم» أوجز أهم نقاط هذا الموضوع فأقول ومن الله العون:

- قمت بتعريف الرحمة مفرقًا بين الرحمة في حق الله وحق الآدميين.
- ذكرت أسباب رحمة الله بعباده في القرآن الكريم من خلال استقراء الآيات وهي:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، وتقوى الله في السر والعلن والاعتصام بالله سبحانه وتعالى والاستماع للقرآن والانصات له، وقيام الليل، وإصلاح ذات البين، والصبر لحكم الله سبحانه وتعالى والعفو عن المقدرة والهجرة أو الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، والموت أو القتل في سبيل الله سبحانه وتعالى، واعتزال الكافرين وما يعبدونه.

- أتبعت أسباب الرحمة بآثارها في الكون المنظور الممثل في الأرض والسماء والرياح.

- ثم شرعت في بيان آثار رحمة الله التي تخص الإنسان في الدنيا وهي:

إرسال الرسل وإنزال الكتب، والزواج والذرية، وحفظ الصالحين وذريتهم، واحتياج الخلق إلى بعضهم البعض، والوقاية من الشيطان وكيده وقبول توبة التائب واستغفار المستغفر ووعده سبحانه وتعالى للمجاهدين والمهاجرين والصابرين بالرحمة، وإباحة المحظور لرفع الضرر وإنجاء الصالحين وإعانتهم.

- ختمت رحلتي العلمية مع هذا البحث الذي أرجو له القبول والنفع بذكر آثار رحمة الله بعباده في الآخرة فذكرت منها: تبييض وجوه الطائعين صرف العذاب عن المتقين دخول الجنة مع عظم الدرجة. اللهم ارزقنا إياها بعد عمر مديد في طاعة وصلاح.

التوصيات:

أوصي بترجمة الأعمال المتصلة بموضوع الرحمة، ومنها هذا العمل وطبعها وتوزيعها لبيان جوهر ديننا الحنيف، وكشف كل زيف يعكر صفوه.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

- **التفسير:**

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢. أضواء البيان، للشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٣. البحر المحيط، لأبي حيان، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م الأولى.
٤. التحرير والتنوير، لابن عاشور، دار سحنون تونس.
٥. التفسير القرآني للقرآن، لـ عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.
٦. التفسير الميسر، لنخبة من العلماء، طبع مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة السعودية.
٧. التفسير الوسيط، لطنطاوي، طبع مجمع البحوث بالأزهر الشريف ١٩٨٠م.
٨. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار قرطبة الأولى .
٩. أنوار التنزيل، للبيضاوي، بتحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت الأولى – ١٤١٨هـ.
١٠. تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، لـ محمد رشيد رضا، الثانية، دار المنار، القاهرة: ١٣٣٦هـ / ١٩٤٧م.
١١. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الأولى– ١٤١٩هـ.
١٢. تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة، مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الأولى، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.
١٣. حاشية الجمل على الجلالين، طبعة الحلبي الثالثة ٢٠٠١م.

١٤. تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ت: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٥. جامع البيان للطبري، تحقيق: التركي، دار هجر الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٦. زهرة التفاسير، لأبي زهرة، دار الفكر العربي د ت.

١٧. صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، عبدالرحمن بن محمد الدوسري الأولى دار المغني الرياض ١٤٢٥هـ.

١٨. المحرر الوجيز، لابن عطية، محقق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت الأولى - ١٤٢٢هـ.

١٩. معالم التنزيل، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٠. مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت الثالثة - ١٤٢٠هـ.

- **من كتب العقيدة:**

١. الصواعق المرسلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤٠٨هـ.

- **اللغة العربية:**

١. لسان العرب لابن منظور دار صادر - بيروت الثالثة - ١٤١٤هـ.

٢. المفردات للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان د ت.

٣. مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.